

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

## سورة أرايت مكية

بالحنية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور.

أَلَّذِينَ هُمْ يُرَاكُونَ ﴿١﴾

كما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وكنزة الإسلام. علماً على أنهم مكذبون بالدين، وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصيغة فيا مصيبتاه! وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفاً على الذي يكتب، أما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة. ويكون جواب أرايت محنوفاً لدلالة ما بعده عليه. كأنه قيل: أخبرني وما تقول فيمين يكذب بالجزاء ويمين يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين، أنعم ما يصنع! ثم قال: فويل للمصلين، أي: إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين، على معنى: فويل لهم! إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكنيب، وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم.

فإن قُلْتَ: كيف جعلت المصلين قائماً مقام ضمير الذي يكتب وهو واحداً قُلْتَ: معناه الجمع لأن المراد به الجنس.

فإن قُلْتَ: أي: فرق بين قوله: عن صلاتهم، وبين قولك: في صلاتهم؟ قُلْتَ: معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى: في أن السهو يعترتهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم. وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره<sup>(2)</sup>. ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم. وعن أنس رضي الله عنه: الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم، وقرأ ابن مسعود: لا هون.

فإن قُلْتَ: ما معنى المراءاة؟ قُلْتَ: هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها. لقله عليه الصلاة والسلام: ولا غمة في فرائض الله<sup>(3)</sup>

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِاللَّيْلِ ﴿٢﴾

قري: ﴿أرايت﴾ بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع، ولم يصح عن العرب ريت، ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه:

صاح هل ريت أو سمعت براء رذني الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود: أرايتك بزيادة حرف الخطاب. كقوله: ﴿أرايتك هذا الذي كرمتم علي﴾<sup>(1)</sup>، والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه.

فَإِنَّكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾

﴿فذلك الذي﴾ يكتب بالجزاء هو الذي ﴿يدع اليتيم﴾، أي: ينفعه دفعا عنيقا بجفوة وأذى ويرثه رداً قبيحاً بزجر وخشونة. وقرئ: ﴿يدع﴾ أي: يترك ويجفو.

وَلَا يَحْضُ عَلٰى طَعَامِ الْيَتِيمِ ﴿٤﴾

﴿ولا يحض﴾ ولا يبيعت أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكنيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف. يعني: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على تلك فحين قدم عليه علم أنه مكذب، فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين.

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٦﴾

ثم وصل به قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك. فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة ميالة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله ﷺ والسلف ولكن ينقرونها نقرًا من غير خشوع وإخبات، ولا اجتناب لما يكره فيها من العبت

= في كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حيث كان (الحديث رقم: 401)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة، والسجود له، (الحديث رقم: 89 - 572) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: سجنتي السهو فيما تشهد، (الحديث رقم: 1039)، أخرجه ابن حبان في كتاب: الصلاة، باب: سجود السهو، (الحديث رقم: 2674)، وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: إذا صلى خمسا، (الحديث رقم: 1023).

(3) تقدم في سورة يونس.

(1) سورة الإسراء، الآية: 62.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الألب، باب: ما يجوز من نكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير.. (الحديث رقم: 6051)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث رقم: 97 - 573) وأخرجه البخاري في كتاب: السهو، باب: ما جاء في السهو إذا قام من ركعتين للفريضة (الحديث رقم: 1224)، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث رقم: 86 - 570)، وأخرجه البخاري

الجنة وعنديه ربي فيه خير كثير<sup>(5)</sup>. وروى في صفته: أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، والين من الزبد، حافظته الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء<sup>(6)</sup>. وروى: لا يظلم من شرب منه أبداً، أول وأربيه فقراء المهاجرين الذين الثياب الشعث لرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره<sup>(7)</sup>، وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير. فقال له سعيد بن جبير: إن ناساً يقولون: هو نهر في الجنة. فقال: هو من الخير الكثير.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٧﴾

والنحر نحر البدن، وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع، والنحر بمنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية، وقيل: هي جنس الصلاة، والنحر وضع اليمين على الشمال. والمعنى: أعطيت ما لا غاية لكثرة من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطى ذلك كله أنا إله العالمين<sup>(8)</sup>، فاجتمعت لك الغبطتان السنبتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معطٍ وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للثلاثين.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٨﴾

﴿إن﴾ من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم ﴿هو الأبتَر﴾، لا أنت. لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وتترك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف. فمثلك لا يقال له: أبتَر، وإنما الأبتَر هو شانئك المنسى في الدنيا والآخرة، وإن نكر نكراً باللعن. وكانوا يقولون: إن محمداً صنبور إذا مات نكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتَر، والأبتَر الذي لا عقب له. ومنه الحمار الأبتَر الذي لا نجب له. عن رسول الله ﷺ<sup>(9)</sup>: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرببه العباد في يوم النحر أو يقربونه»<sup>(10)</sup>.

لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت. فوجب إمطة التهمة بالإظهار، وإن كان تطوعاً فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلاً، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها، فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك! وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة، على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: الرياء أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود.

وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿الماعون﴾ الزكاة. قال الراعي: قوم على الإسلام لما يمنعوا، ماعونهم ويضيعوا التهليل، وعن ابن مسعود: ما يتعارف في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقنعة ونحوها: وعن عائشة: الماء والنار والملح. وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحاً في المروءة في غير حال الضرورة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة رأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً»<sup>(1)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الكوثر مكية

في قراءة رسول الله ﷺ: إنا أنطيناك بالنون<sup>(2)</sup>، وفي حديثه ﷺ: «وأنطوا الشجرة»<sup>(3)</sup>. والكوثر فوعل من الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم أب ابنك؟ قالت: أب بكوثر. وقال:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل<sup>(4)</sup> كوثرًا

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

وقيل: الكوثر نهر في الجنة. وعن النبي ﷺ أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في

(7) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: نكر الحوض (الحديث رقم: 4303)، وأخرجه أحمد في المسند (الحديث رقم: 275/5).

(8) قال أحمد: جعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزئين مفيد للاختصاص؛ لأن إفادته ههنا لتلك بيئته مكشوفة.

(9) أخرجه الثعلبي وابن مرويه والواحدي في تفاسيرهم زيلعي 4/305.

(10) نكره الزبيدي في الاتحاف 645/9، وصدده عند الترمذي من حيث أنس في كتاب: ثواب القرآن (10).

(1) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مرويه في تفاسيرهم زيلعي 4/299.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب القراءات...

(3) تقدم في يونس.

(4) العقائل: جمع عقيلة وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة.

(5) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة (الحديث رقم: 53 - 400).

(6) أخرجه الحاكم في المستدرک في 171/3.